

هذه، إلا أننا لا نجد آية تشمل الخمس إلا آية الدلوك وإن كانت لا تصرح إلا بقرآن الفجر، وقد نلمس الفضيلة الكبرى بين الخمس لقرآن الفجر، حيث تختص بالذكر هنا وفي سبع أخرى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾^(١) و﴿صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾^(٢) والإبكار^(٣) عدد أبواب الجنة.

ومن ثم الظهيرة فإنها من الصلاة الوسطى، وتلمح لها أو تصرح بها آيات عدة كالدلوك والظهيرة^(٤).

ثم العصر كما في آية الدلوك وآيتي «قبل غروبها وقبل الغروب» وآيات العشي الخمس، وطرفي النهار.

ثم العشاء كما في آية الدلوك الغسق، وآية العشاء ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾^(٥) وآيات العشي.

ومن ثم المغرب داخله في تلميحات كآية الدلوك وزلفاً من الليل: آيات بينات تبين موقف كل صلاة وصلاة تلو الأخرى وكما الروايات على أضوائها.

وقد تدلنا أو تلمح لنا آية قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وآيات العشي والإبكار أن الفرض كان في البداية ثنتين: صلاة الفجر والعصر، ثم آية الزلف والظهيرة أنه تحوّل إلى ثلاث أو أربع، ثم آية الدلوك وآية العشاء والظهيرة إلى خمس، وهي مكية فلتكمل الفرائض الخمس في مكة على فترات.

وإذا كان البعض من آيات العشي والإبكار مدنية فقد تعني البعض من

(١) سورة طه، الآية: ١٣٠، وسورة ق، الآية: ٣٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٨.

(٣) كما في ٣: ٤١ و٦: ٥٢ و١٨: ٢٨ وو ٤٠: ٥٥.

(٤ - ٥) سورة النور، الآية: ٥٨.

المفروضات لا كلها، وإن كانت ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ المكية تعني كلها لمكان القرينة في المدينة دون المكية.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩):

الهجود هو النوم كما الهاجد النائم، والتهجد إزالة النوم كالإطاقة إزالة الطاقة والتمريض إزالة المرض بمراقبة المريض.

ولأن التفاعل تكلف فقد تعني هنا التكلف في التيقظ، ومن الصعب التيقظ بعد النوم في بدايته كما يصعب في نهايته أو وسطه هو درجات حسب الصعوبات.

هنا يؤمر النبي ﷺ شخصياً بالتهجد فاختصاص الأمر به إضافة إلى صيغته يدلان على وجوب ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ و﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ يعني بعضه، اقتسام له إلى ثلاثة أبعاض: فبعض للعشائين وسائر الحاجيات، ومن ثم النوم بين العشائين أم بعدهما، ثم التهجد المقدر في أكثره ثلثي الليل وفي أقله ثلثه، وفي متوسطه بنصفه ﴿فُرُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) يَصْفَهُ؛ أَوْ أَنْقَصَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زَدَ عَلَيْهِ وَرَقْلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) (١) ولأن «من الليل» تعني بعضه المفسر في المزمّل ف «به» تعني هذا البعض تهجداً به، قياماً في عبادته، صلاةً وقراءةً للقرآن أم ماذا؟

ثم ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ حيث تعني زائدة خاصة بالرسول ﷺ صلاة أو طاعة نافلة على فرضه ﷺ دون الأمة في فرض صلاة أم وقراءة، لا زائدة على فرض الأمة حتى تعني مقابل الفريضة، حيث النافلة المستحبة على فرضهم لا يخصه ﷺ! إذا فهي فريضة زائدة عليه بين سائر المكلفين (٢).

(١) سورة المزمّل، الآيات: ٢-٤.

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٠٤ في تهذيب الأحكام بإسناده عن عمار الساباطي قال: كنا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له رجل: ما تقول في النوافل؟

وهي «له» حيث ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وإن كانت عليه تكليفاً، ولأنه من أفضل الخاشعين وهو أوّل العابدين فليست العبادة له حملاً وكبيرة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

ولأن الصلاة هي المذكورة مسبقاً دون القرآن، إذاً فهي ﴿نَافِلَةٌ لَّكَ﴾ صلاة زائدة لك على فرضك، مهما شملت قراءة القرآن في صلاة وسواها، إلا أن آيات المزمّل بشأن ترتيله في قيام الليل تضم ترتيل القرآن إلى صلاة الليل، قرآن الصلاة أم سواه: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ كما وأن القرآن هو روح الصلاة!

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا...﴾:

بذلك التهجد الصارم ولأنك أفضل الخلق أجمعين وأنت أوّل العابدين ﴿عَسَى...﴾ فما هو ذلك المقام المحمود؟ هل إنه الرسالة الختمية؟ وقد بعث بها! أم إلقاء قول ثقيل ﴿قُرْ أَيْلَل...﴾ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١)؟ وذلك حتمّ في تلکم الرسالة موعود ﴿سَنُلْقِي﴾، و﴿عَسَى﴾ موضع ترجّح دون حتم! أم إنه العصمة العليا والقمة الأعلى من مقامات الولاية؟ فما هي وأنتي؟! بما أنه لا حمد إلا لله ولا محمود إلا الله، اللهم إلا ما عساه يبعثه الله ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فليكن قمة في الأولى وأخرى في الأخرى ليست لأحد من العالمين وهي الولاية الكبرى هنا والشفاعة الكبرى هناك، حيث الحمد مطلق، فلتشمل ولايته في الدنيا كل العالمين، أن تشمل شرعته كل العالمين ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

= فقال: فريضة - قال: ففزعنا وفزح الرجل فقال أبو عبد الله عليه السلام إنما أعني صلاة الليل على رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ أَيْلَل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةٌ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].
وفي الدر المنثور ٤: ١٩٦ عن ابن عباس في قوله: نافلة لك يعني خاصة للنبي صلى الله عليه وآله أمر بقيام الليل وكتب عليه وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة: الوتر والسواك وقيام الليل.
(١) سورة المزمّل، الآية: ٥.

شَهِيدًا ﴿١﴾ كما وأن ولايته الرسالية تشمل كافة المرسلين ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾ ثم سلطانه النصير في فتح العاصمة الرسالية بعدما ضاقت عليه بما رحبت وذاق منهم أشد الأذى في العهد المكي والمدني، ومن ثم شفاعته الكبرى التي تشمل كل العالمين، مزيداً على محتد النبيين، وترفعاً للمؤمنين، وغفراناً للفاسقين، وتخفيفاً عن الكافرين كما تظافت به الروايات عن النبي ﷺ وعن عترته عليهم السلام.

ولماذا ﴿عَسَىٰ﴾ وليست إلا للترجي والله لا يترجي ما هو باعته لا سواه؟... إنه ليس ترجياً من الله، فعساه ليس إلا ترجياً لرسول الله، دون تحتم على الله، فالظروف الرسالية هذه، وهجده أم ماذا من لياقته ولباقته، هذه وتلك مواقع لترجي المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

ولأن ﴿مَقَامًا﴾ مصدر ميمي واسم زمان ومكان، فمقامه المحمود مجموعة من قيامه المحمود، وزمن القيام ومكان القيام المحمود، وقد قام قيامه المحمود في خير مكان «مكة المكرمة» وخير زمان، وكما يقوم في شفاعته يوم القيامة قياماً محموداً في خير زمان وخير مكان، وقد يجمع ذلك كله محتده المحمود في كافة المجالات.

وبعته ﷺ مقاماً محموداً لا يعني إلا إرساله استجاشةً ذلك المقام، لا إلى مقام محمود، ولا جعله وإجلاله مقاماً، خلاف ما يروى شاذاً أنه تعالى «يجلسه معه على السرير» ﴿٣﴾ ولا - فقط - إنطاقه بما ينطق «لبيك

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) الدر المنثور ٤: ١٩٨ - أخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ في الآية: يجلسني معه على السرير.

وسعديك»^(١): وإن كان هذا من مخلفات مقامه المحمود! ومهما يكن من شيء فالمقام المحمود الذي عساه يبعث إياه أمر مستقبل تتبناه عصمة الرسالة الأخيرة والولاية العامة الإلهية على كونه دائماً قائم الليل صباح النهار سبحاً طويلاً.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^(٨١):

وسلطانه النصير هو من مقامه المحمود هنا، كما شفاعته الكبرى من سلطانه النصير هناك! فقد جعل الله له سلطاناً نصيراً في الأولى والأخرى!. تلك دعاء يحتاجها الرسول ولكي يجتث ويحتاج كل عراقيل الدعوة، يؤمر على طول خط الدعوة الرسالة إدخال صدق وإخراج صدق، وسلطاناً نصيراً حينهما وقبلهما وبعدهما، دعاء مثلثة الزوايا تجمع مجامع الخيرات لصاحب هذه الرسالة السامية.

فالصدق هنا مطلق دون قيد، صدقاً في العلم والايمان، وصدقاً في النية والعمل، تطابقاً في جنباته كلها، دون نفاق وشقاق، ودون أية كذبة ولا نقيراً! صحيح أن على الإنسان أياً كان أن ينتظم دخوله في كل مدخل وخروجه عن كل مخرج بصدق صارم قاطع، ولكنما هناك العراقيل التي تحول دونه وما يريد متغلبة على ما يريد وإن قليلاً، فليطلب من الله أن يدخله ويخرجه بصدق، عصمة عن المزالّ وحفاظاً عن الضلال، والعصمة القمة التي ما لها من سباق هي العصمة المحمدية التي يطلها ربّه ليل نهار.

(١) المصدر أخرج ابن أبي شيبة والنسائي والبراز وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفتق عن حذيفة قال يجمع الناس في صعيد واحد يسمعون داعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياماً لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادى يا محمد فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا المقام المحمود.

وإن ذلك استسلام تام للرب تبارك وتعالى، أن يستضيف إلى حوله حول الله، وإلى قوته قوة الله، وإلى إرادته إرادة الله، بل يرى أنه «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيجعل نفسه مجالاً لمشيئة الله، فلا يشاء إلا ما يشاء الله، بعدما يكرس كل طاقاته في تحقيق وتطبيق مرضاة الله، لقد كان للرسول خروج عن مكة هجرة إلى المدينة دخولاً فيها، ومن ثم دخول في مكة يوم الفتح ثم خروج عنها منتصراً مظفراً^(١)، وبين ذلك دخولات وخروجات في مداخل ومخارج شتى لتحكيم الدعوة وتدعيم الرسالة، وكل ذلك تشمله دعاءه ﴿وَقُلْ رَبِّ . . .﴾ كما أدخله وأخرجه صدقاً. ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ سلطاناً من لدن الرب تبارك وتعالى. نصيراً له في دعوته الرسالية العالمية في كل مدخل ومخرج وكل مقام ومقام^(٢).

إن السلطان النصير أياً كان يختص بالرسول ﷺ فلا نجد في سائر القرآن سلطاناً نصيراً لمن سواه إلا سلطاناً مبيناً هو معجزة الرسالة وهي لزام الرسالات كلها، وقد بدأ الرسول بها في قرآنه فإنه أفضل سلطان وأخلده.

ومن سلطانه النصير نظيره ووزيره علي أمير المؤمنين عليه السلام فإنه شاهد لبينة الرسالة حيث يتلوه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِنَ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً . . .﴾^(٣) ^(٤).

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٨ - أخرج أحمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي . . .﴾ [الإسراء: ٨٠].

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٩٨ - أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن قتادة في الآية قال: أخرج الله من مكة مخرج صدق وأدخله المدينة مدخل صدق - قال: وعلم نبي الله ﷺ أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله تعالى وحدوده وفرائضه وإقامة كتاب الله تعالى فإن السلطان عزة من الله تعالى جعلها بين عباده ولولا ذلك لغار بعضهم على بعض وأكل شديدهم ضعيفهم.

(٣) سورة هود، الآية: ١٧.

(٤) ملحقات الإحقاق. أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٨ ط بيروت =

كما وإن من سلطانه النصير استقامته وهيئته وسيطرته، فقد زوده الله بسلطات ربانية متصلة به ومنفصلة عنه، ولأن هذه الرسالة السامية عالمية خالدة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١).

ومن سلطانه النصير في آخر الزمن القائم المهدي عليه السلام من عترته المعصومين عليهم السلام: فبه - لا سواه - «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»، وفي الحق إن هذه الدولة المباركة هي تحقيق شاملة وتطبيق كاملة لرسالته في العالمين، كما تحققت على ضوءها كافة الرسالات الإلهية.

إذاً فهي حُصالة غالية من كل سلطانه النصير، المنقطع النظير في كل سلطان نصير، فإنها انتصار صارمة لرسالة السماء في الأرض، بعد كل تشرد له بتمرد مارد من المرسل إليهم طوال التاريخ الرسالي، والآية التالية تبشيرة لطيفة بحق ذلك السلطان النصير:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١):

أجل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصَفُونَ﴾^(٢)! ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾^(٣) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾^(٤).

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ

= بإسناد متصل عن عبد الله بن عباس في الآية قال: والله لقد استجاب الله لنبينا دعاءه فأعطاه علي بن أبي طالب سلطاناً ينصره على أعدائه.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) سورة سبأ، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١﴾!
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ﴿٢﴾ .

لقد قال الرسول هذه الكلمة الطيبة فيما قال في سلطانه النصير عند ما فتح مكة وأخذ يكسر الأصنام^(٣) وإذا لم يزهق الباطل في صورته زهاقه في سيرته زمن الرسول ﷺ حتى الآن فسوف يزهق تماماً زمن الدولة المباركة الإسلامية العالمية في قيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فـ «إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»^(٤) فإن للحق دولة وللباطل صولة وجولة، يتنفخ ويتنفج ولكنه هش سريع العطب كشعلة الهشيم!

وقد كانت هذه الآية مكتوبة على ذراع المهدي ﷺ الأيمن لما ولد^(٥)

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦ .

(٣) الدر المنثور ٤: ١٩٩ - أخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن المنذر عن جابر رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله ﷺ فأكبت لوجهها وقال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] وأخرجه مثله الطبراني في الصغير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عنه ﷺ وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود عنه ﷺ بزيادة الآية ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] ومثله في أمالي الطوسي بإسناده إلى سليمان بن خالد قال حدثنا علي بن موسى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه قال: وفي كفاية الخصام ٥٣٦ - إن هبل وهو أكبر الأصنام التي كانت على جدران الكعبة إنما نزلها وكسرها علي رضي الله عنه بأمر النبي ﷺ حين وضع قدمه على ظهره الشريف، رواه أبو بكر الشيرازي في كتاب نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قتادة عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا مع رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة . . .

ورواه مثله أبو المؤيد موفق بن أحمد بسنده عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . . .

(٤) نور الثقلين ٣: ٢١٢ عن روضة الكافي بإسناده عن أبي جعفر الباقر رضي الله عنه في الآية قال: إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل .

(٥) المصدر ص ٢١٣ ح ٤١٠ في الخرائج والجرائح عن حكيمة في خبر طويل وفيه لما ولد القائم رضي الله عنه كان نظيفاً مفروغاً منه وعلى ذراعه الأيمن مكتوب ﴿جَاءَ الْحَقُّ . . .﴾ .

حيث تعني أن مجيء الحق تماماً وزهاق الباطل تماماً ليس إلا بيمين المهدي عليه السلام لا سواه، مهما بذر بذوره الرسول البشير النذير، حيث بذر بلا أي تبذير:

وفي الحق إن الحق كيانه الانجلاء والقرار، والباطل كيانه الجلاء والانحدار! . . . والحق وإن كان جائئاً قبل ذلك الحق ولكنه لم يكن بالذي لا يُنسخ ولا يُحرّف، وأما ذلك الحق فكتابه حقّ لا ينسخ أو يحرف ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) ورسوله لا يزول فإن رسالته مؤبّدة، ودولته سوف تفوق الدول وتشمل العالم أجمع، إذاً ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ نفسه أن يبدأ حياته من جديد ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾^(٢) ما كانت من حياته البائدة، فلا بدء له بعد ولا عود، وإنما هما الآن وعلى مرّ الزمن والأجيال للحق! الحق الخالص الصارم بمن له من أنصار صامدين، ثابت لا حول عنه، والباطل زاهق مهما كان له من أنصار. . . فالباطل شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار حيث لا يطمئن إلى حقيقة مهما تنفّج وتنفّخ فإنه هش سريع العطب. . . وهو زبدٌ يطفو على الماء ويخيل إلى من غربت عقولهم أنه عال، ولكنه يذهب جفاء ويبقى الماء.

في معترك الحق والباطل، القوة كلها للحق حيث يُضرب على الباطل فيدمغ ﴿وَلَكُمْ أَوْلِيٌّ مِّمَّا نَصَفُونَ﴾^(٣) ومهما انهزم أهل الحق أحياناً ولكن الحق لا ينهزم ﴿وَيَمَّحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٤).

إن الحق من الله وهو مع الله ومن ورائه الله، والباطل من الشيطان ومن

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٤.

ورائه الشيطان ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)
﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢)!

الباطل كلما أُرعد وأبرق وعربد لا يملك عقولاً صافية وحقولاً ضافية،
مهما ملك غاربه من سنخه وفي مجراه، ولكنما الحق يملك عقولاً وتنضح
به عقول، مهما عارضه من لا يعقلون! لقد جاء الحق في القرآن (٢٥٤) مرة
ولم يجيء الباطل إلا (٢٦) مرة، ولأن دلائل الحق تحيط بنا وليس للباطل
دلائل إلا زوراً وغروراً! ﴿وَيَجِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ
وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾^(٣) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾^(٤) ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^(٥)؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٦) لذلك
﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٧):

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ لِيَحِقَّ وَيَبْقَى﴾ ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ لأن حقه الزهاق ﴿إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ﴾ منذ وجد وفي أعماق الزمان والمكان ﴿زَهُوقًا﴾ لإثبات له فلا
مساك له ولا سماك لبنائه وإنما يبقى امتحاناً وبلاءً في دار البلاء ﴿وَالْعَاقِبَةُ
لِلنَّاقِي﴾:

﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا
خَسَارًا﴾^(٨٢):

- (١) سورة يوسف، الآية: ٢١.
- (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
- (٣) سورة الكهف، الآية: ٥٦.
- (٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
- (٥) سورة غافر، الآية: ٥.
- (٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.
- (٧) سورة المؤمنون، الآية: ٧٠.